İ.Ü. Şarkiyat Mecmuası Sayı 22 (2013-1) 23-35

YENİ RETORİKTE MUHATABIN MERKEZİYETÇİLİĞİ

"Centralism of The Receiver in The New Rhetoric"

''محورية المتلقي بين البلاغة العربية و الخطابة الجديدة''

د. سامية بن يامنة

Samia Benyamna*

Abstract: Since the ancient time, the Arabic speech has been considered as an instructive building tool sought by any speechifier to inform his speech to others; and it is related to specific goals. From this standpoint, it was the beginning of the new speech which made its basic subject "the receiver". And it is clearly seen in Breelmann's quotation: «What we must keep from the old speech is the idea of receiver that directly comes to the mind when thinking of speech, and because every speech is directed to a receiver».

This idea can be found in the ancient speech, however, the new speech did not just depend on the role of the receiver in decoding the symbols by language so that the act of comprehension can be done; but yet it overpasses the act of interpretation on the one hand, and the receiver has gained a positive role on the other hand. Moreover, he does not stick to what was imagined by the old rhetoric speech, but receives what he can perceive, think of it, discusses it and shares the informer the production of the linguistic speech. Basically, this research has come to reveal the nature of this special shift in the field of this new rhetoric speech.

Keywords : the recipient, the listener, the new rhetoric, rhetoric, pragmatic, communication, dialogue, rhetorician.

* Dr., Abdulhamid b. Bâdîs Üniversitesi, Edebiyat Fakültesi, Arap Dili ve Edebiyatı Bölümü, Müsteğânım-Cezayir (samiabenyamna@yahoo.fr).

.-أستاذة محاضرة ، تخصص تداوليات، قسم اللغة العربية وآدابها- كلية الآداب والفنون، جامعة مستغانم- الجزائر

Özet: Eski zamanlardan beri Arapça hitabet, herhangi bir konuşmacı tarafından konuşmasını diğerlerine aktarmak için eğitici ve yapıcı bir araç olarak düşünülmüştür. Bu aktarım ise belirli hedeflerle bağlantılıdır. Bu durum muhataba dayalı yeni bir hitabet anlayışının başlangıcı olmuştur. Breelmann'ın da açıkça belirttiği üzere; " Eski hitabet anlayışından almamız gereken, hitabet düşünüldüğünde akla ilk gelen muhataptır. Zira yine her konuşma bir muhataba yöneltilir".

Bu görüş eski hitabet anlayışında bulunsa da yeni hitabet anlayışı, anlama eyleminin gerçekleşmesi için sembolleri dil vasıtasıyla çözmede sadece muhatabın rolüne bağlı kalmaz. Çünkü bir taraftan yorumlama eylemi ihmal edilirken diğer taraftan muhatap müspet bir rol yüklenir. Üstelik eski hitabet anlayışının şekillendirdiği role bağlı kalmaz, algılayabileceği her şeyi alır, düşünür, tartışır ve muhatap hitabeti şekillendirmede ortak bir rol oynar. Bu çalışmada ise bu eski hitabet anlayışının yeni hitabet anlayışına dönüşümünü ele aldık.

Anahtar kelimeler: alıcı, dinleyici, yeni retorik, retorik, pragmatik, iletişim, diyalog, hatip.

الملخص

أُعتبرت الخطابة العربية منذ القديم عتادا بنائيا و تبليغيا يتوسّله أي خطيب لتبليغ خطابة للآخر؛ وهذا التبليغ مرتبط بغايات معينة، ومن هذا المنطلق كانت بداية الخطابة الجديدة التي جعلت محورها الأساسي ''المتلقي''؛ ويظهر هذا جليا في قول ''بريلمان'' (ما يجب استبقاؤه من الخطابة القديمة هو فكرة ''المتلقي'' التي ترد إلى الذهن مباشرة عندما يفكر في الخطاب؛ فكل خطاب موجه إلى متلقي).

وهذه الفكرة تحضر في الخطابة القديمة، بيد أنّ الخطابة الجديدة لم تقتصر على دور المتلقي في فك الرموز بواسطة اللغة ليكون فعل الفهم؛ بل يتعداه لفعل التأويل من جهة، ثم لقد أصبح للمتلقي دور إيجابي من جهة أخرى؛ لا يكتفي بالدور الذي تصورته البلاغة القديمة؛ بل يتلقى ما يتلقاه ويفكر فيه ويناقشه ويشارك المخاطب في إنتاج الخطاب اللغوي. وعلى هذا الأساس جاء هذا البحث لنكشف فيه عن طبيعة هذه النقلة النوعية في رحاب البلاغة الجديدة

الكلمات المفتاحية:المتلقي، السامع ، البلاغة الجديدة ، البلاغة، التداولية، الاتصال، حوار، البليغ.

تمهيد

أُعتبرت الخطابة العربية منذ القديم عتادا بنائيا و تبليغيا يتوسله أي خطيب لتبليغ خطابة للآخر؛ وهذا التبليغ مرتبط بغايات معينة، ومن هذا المنطلق كانت بداية الخطابة الجديدة التي جعلت محورها الأساسي ''المتلقي''؛ ويظهر هذا جليا في قول ''**بريلمان**'' (ما يجب استبقاؤه من الخطابة القديمة هو فكرة ''المتلقي'' التي ترد إلى الذهن مباشرة عندما يفكّر في الخطاب؛ فكل خطاب موجه إلى متلقي).

وهذه الفكرة تخضر في الخطابة القديمة، بيد أنّ الخطابة الجديدة لم تقتصر على دور المتلقي في فك الرموز بواسطة اللغة ليكون فعل الفهم؛ بل يتعداه لفعل التأويل من جهة، ثم لقد أصبح للمتلقي دور إيجابي من جهة أخرى؛ لا يكتفي بالدور الذي تصورته البلاغة القديمة؛ بل يتلقى ما يتلقاه ويفكر فيه ويناقشه ويشارك المخاطب في إنتاج الخطاب اللغوي. وعلى هذا الأساس جاءت مداخلتنا تكشف فيها عن طبيعة هذه النقلة النوعية في رحاب البلاغة الجديدة.

1.**المتلقي في الخطابة العربية القديمة**:

احتل المتلقي مكانة مرموقة في البلاغة العربية بصفة عامة و الخطابة بصفة خاصة فهو الهدف بالنسبة للبليغ و الخطيب على حد سواء؛ باعتبار أنّ العملية التبليغية لا تقوم إلا في اتّجاه متلق: وهذا ما نجذه ماثلا في التراث البلاغي ويتّضح ذلك أكثر من خلال البحوث التي دارت حول مقتضى الحال، وهذا ما وجدناه عند معظم البلاغيين القدامى ؛ فصانع الكلام عندهم لا يؤلّف رسالته سواء أكانت خطبة أو رسالة أو شعرا إلاّ ويراعي الطبقة التي تتوجّه إليها، كما دعت البلاغة العربية بما فيها الخطابة الخطيب مراعاة الحال ؛ أي أن (يراعي المتكلم قدر مخاطبيه ومنزلتهم الاجتماعية، فالقول لا يقنع إذا لم يكن موجّها أي مكيّفا بحسب الحاجات الخاصة التي تقتضيها فئات المخاطبين فالوضعيات تختلف و المراتب تتباين و الأفهام تتفاوت) ؛ ومعنى هذا أنّ من شروط الخطيب مراعاة حال المتلقي وهذا ما نجده ماثلا في قول الجاحظ (الله تبارك وتعالى إذا خاطب العرب و الأعراب أخرج الكلام مخرج الإشارة و الوحي و الحذف، و إذا خاطب بني إسرائيل أو حكى عنهم جعله مبسوطا وزاد في الكلام)

وأيصا نجد هذا الحال في صحيفة بشر بن المعتمر في قوله:(مدار الشرف على الصواب و إحراز المنفعة، مع موافقة الحال) ، فالكلام لا يشرف بانتمائه إلى هذه الفئة من المخاطبين أو تلك، وإنما شرفه متعلق بمراعاته وموافقته فئة المخاطبين التي يستهدفها بالخطاب، فينبغي أن (يكون لفظك رشيقا عذبا ، وفخما سهلا، ويكون معناك ظاهرا مكشوفا، قريبا معروفا، إمّا عند الخاصّة إن كنت للخاصّة قصدت، وإما عند العامّة إن كنت للعامة أردت)[1].

وقد دارت حول المتلقّي بحوث كثيرة بالخصوص في العصر الحديث حيث عُقدت ندوات عديدة حوله، وظهرت الكثير من الجمعيات التي تبحث في أهميته وقدراته في إنجاح عملية التواصل في شتّى المستويات، كان من أهمّها ما قدّمته جمعية الاتّصال الخطابي الأمريكي سنة 1984م، عارضة مجموعة من المقوّمات والقدرات الأساسية؛ كان من أهمها:

-القدرة على فهم اللغة الشفوية للحديث وتمييز الأفكار الأساسية.

-القدرة على الاستماع المتفهّم للاستفادة[2].

1_الجاحظ: البيان و التبيين، تح عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ج١،دت، ص١٣٧.

2- محمد منير حجاب، مهارات الاتصال للإعلاميين والتربويين والدعاة، مصر دار الفجر للنشر والتوزيع، ط١/١٩٩٩، ص٣٨.

والمتلقي هو المعني بالعملية الابلاغية، تخوّل له فهم مقاصد الخطبة التي يرمي إبلاغها الخطيب. ويجب أن تكون له ويمكن توضيح ذلك بالمخطط التالي[3]:

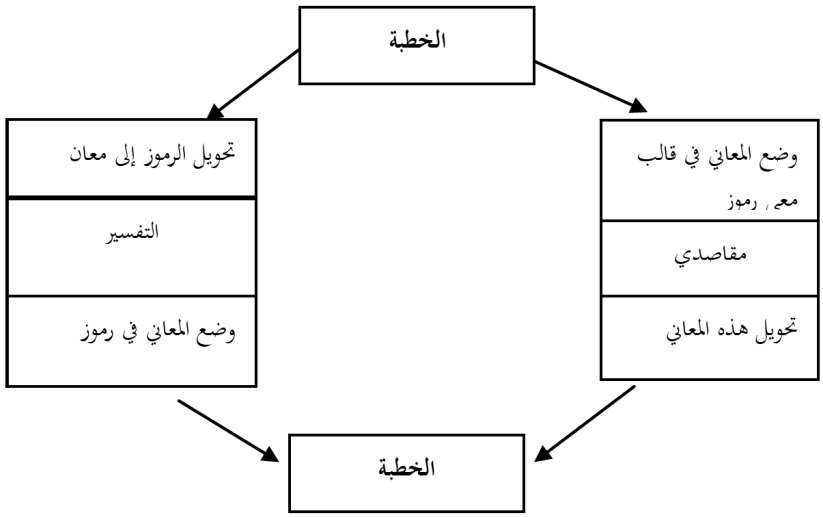

فمن خلال هذا المخطط ندرك ذلك التفاعل بين المرسل والمتلقّي، وكيف أنّهما يتبادلان الأدوار، وهذا ما دعت إليه البلاغة الجديدة، بالمقارنة مع الخطابة العربية القديمة العربية بالخصوص، فالمتلقّي «هو المحور لكل من الخطابة القديمة والخطابة الجديدة؛ إذ يصب الخطاب على قدره أو مقامه مادام هو المراد إقناعه»[4]. وهذا ما كان ماثلا لدى البلاغيين نذكر على سبيل المثال لا الحصر **العسكري** الذي ذكر أنّ دور السامع لا ينحصر في تلقّي الرسالة الإعلامية فقط؛ بل قد يشارك في بنائها؛ أي تكون علاقته بالمتكلّم علاقة رأسية في الخطبة (الخطيب يلقي خطبته لدرجة عليا أو أدنى)، أو الشعر أو الرسالة، وقد تصبح أفقية بالتفاعل بين المتكلم و السامع، ويمكن أن نوضّح العلاقة في المخطط الآتي:

3 - المرجع نفسه ، ص٧٠.
4 - جميل عبد المجيد، البلاغة والاتّصال، ص١١٦.

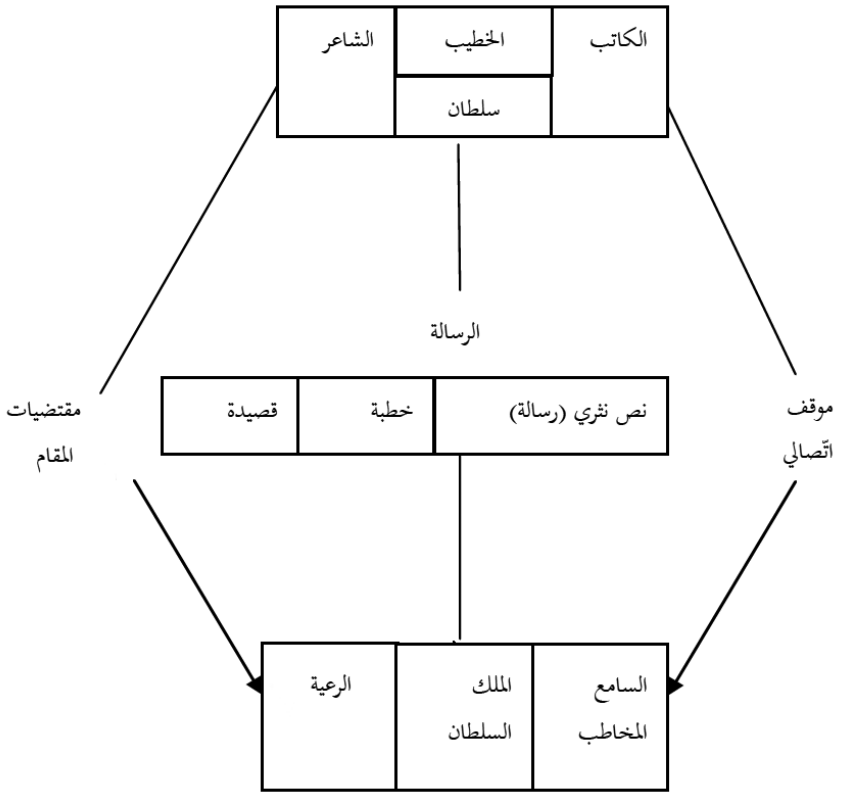

ولكن قد يكون هناك تفاعل بسيط إذا –مثلا– لم تتم عملية الفهم، حينما يستعمل المتكلّم لفظة لا يفهمها السامع، أو تدخله في متاهات قد يحاول السامع أن يسأل عليها، أو العكس، مثلا قد يكون السامع فطنا جدّا ما إن يسمع صدر البيت حتّى يلقي بعجزه.

وقد اشترط جل البلاغيين في المتلّقي شروطا تمكّنه من إدراك أبعاد كل خطبة مهما كان صنفها؛ منها:

أ–حسن الاستماع:

أي توافر حسن السمع، أوِ آلية السمع فهي الكفيلة بإدراك المعنى الدقيق الذي تقتضيه العملية التبليغية. وحسن الاستماع يعدّ من مؤطِرات البلاغة، يقول ابن المقفع: «البلاغة اسم لمعان تجري في وجوه كثيرة، منها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع»[5]. فحاسة السمع تلعب دورا جوهريا في فهم المعنى والوقوف على مقاصده، لذلك وجدنا أبا هلال العسكري يحلّل القول السابق، ويبيّن أنّ «المخاطب إذا لم يحسن

5 – العسكري، الصناعتين، ص٢٠.

الاستماع لم يقف على المعنى المؤدّي إليه الخطاب. والاستماع الحسن عون للبليغ على إفهام المعنى»[6]. فالاستماع الحسن كفيل للمخاطَب بأن يقف على الإفادة التي يريدها المتكلّم، وهنا يقول: «حسبك من حظّ البلاغة أن لا يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق، ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع»[7].فهذا القول يعكس تلك العلاقة بين ركني العملية التبليغية باعتبار أنّ نشاطهما معا من ركائز البلاغة، فهي تتجسّد إذا ما أحسن الناطق إنشاء رسالته وإلقائها عبر «آلة البيان» من جهة، وأن لا يُفاجئ المخاطب أو الناطق بسوء فهم السامع الذي قد يتم بسبب عدم الاستماع الحسن من جهة أخرى.

وهذا ما أخذه الدارسون بعين الاعتبار، فنصحوا بضرورة حسن الاستماع حتى تنجح العملية الاتّصالية، يقول ابن المقفع: «تعلّم حسن الاستماع، كما تتعلّم حسن الكلام»[8]. فإذا أجاد المتكلّم الكلام فإنّه سيجيد حتما الاستماع، وإنجاز الرسالة الإبلاغية وفهمها يتأسّس على ذلك.

ويجب أن نشير ههنا إلى أنّ أبا هلال كان دقيقا في كلماته فقال «الاستماع»، ولم يقل «السمع»، فالسمع قوّة في الأذن تتحرّك بها الأصوات، وسمع لفلان أو إليه أو إلى صديقه سمعا وسماعا أصغى وأنصت. والاستماع من أسمعته أي أصغى إليه، وأصغى بمعنى أحسن الاستماع[9]. وعلى هذا الأساس فرّق العلماء بين المفردتين، باعتبار أنّ «السمع» يرتبط ارتباطا جوهريا بالعضو؛ أي بالأذن ووظيفتها في تلقي المثيرات الصوتية في حدود القدرة السمعية للمتلقّي، فهو بذلك يمثّل «حلقة من حلقات الاتّصال اللغوي، وتنحصر وظيفة الأذن في استقبال الاهتزازات الأكوستيكية وتحويلها إلى إشارات تنتقل عبر عصب السمع»[10]. فحاسّة السمع تخوّل لنا استقبال تلك الأصوات وتمييزها، وذلك إثر «دخول الأمواج الصوتية المختلفة إلى الأذن فتهتز طبلة الأذن فيقوم العصب السمعي بتحويل هذه الاهتزازات إلى رسائل اتّصالية ويرسلها إلى الدماغ، فيقوم الدماغ بدوره باستقبالها وإصدار أمره لأعضاء الجسم بالتصرّف حسب طبيعة الرسالة الاتّصالية»[11].

أمّا «الاستماع» فهو مهارة أساسية للفرد «يتعلّمها في مراحل نموّه الأولى، فالطفل يبدأ في استجابته للعالم الخارجي من خلال السماع»[12]. ويقول العسكري أيضا «ولولا القائل يؤدّي ما سمع لما كان في طاقة أن يقول، وإنّما ينطق الطفل بعد استماعه من البالغين»[13]. فالطفل يتعلّم مهارة الاستماع قبل أن يتعلّم مهارة النطق والكتابة وغيرها من المهارات.

ومنه نلاحظ أنّ الاستماع يتعلّق في أساسه بالفهم؛ أي بـ «فهم رسالة المتحدّث وإدراك ما يرمي إليه من مقاصد، ويختلف مستوى هذا الفهم من شخص إلى آخر، وذلك تبعا لمستوى الاستماع، حيث يوجد أربعة مستويات للاستماع: مستوى الاهتزاز والذبذبة، الاستماع، الفهم، الإدراك والفهم المميز»[14]. لذا كان هذا الأساس المنطلق الذي ارتكز عليه العسكري في تمييزه بين السمع والاستماع، باعتبار أنّ الأول (السمع) «وظيفة فسيولوجية، وتشمل استقبال الرسالة»[15]. أما «الاستماع» فيتعلق بفهم تلك الرسالة بعد تفكيك رموزها.

---

6 – العسكري، المصدر السابق، ص٢٢.

7 – العسكري، المصدر السابق، ص٢٢.

8 – ابن المقفع، الأدب الصغير والأدب الكبير ورسالة الصحافة، يوسف أبو حلفة، بيروت منشورات مكتبة البيان، ط٣/١٩٦٤، ص١٨٠.

9 – ينظر ابن منظور، لسان العرب، مادة (صنع).

10 – محمد منير حجاب، مهارات الاتصال للإعلاميين والتربويين والدعاة، ص١٨.

11 – عيسى شاهين، حاسة السمع، عمان المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٦، ص٨.

12 – محمد منير حجاب، مهارات الاتّصال للإعلاميين والتربويين والدعاة، ص١١.

13 – الصناعتين، ص٢٠٢.

14 – محمد منير حجاب، مهارات الاتصال للإعلاميين والتربويين والدعاة، ص١٨.

15 – محمد منير حجاب، المرجع السابق ، ص١٨.

ويختلف هذا الفهم من شخص إلى آخر أو بحسب الطبقة، فإذا كانت هذه الأخيرة على درجة كبيرة من المعرفة فإنّها ستبلغ مستوى الإدراك والفهم المميزين، أما الطبقة العادية فتفهم عند حدود معرفتها.

فالاستماع يتعدّى حدود الاستقبال السلبي، فهو «وظيفة عقلية، وتعني فهم الرسالة بعد أن تتم عملية السماع بواسطة آلة السمع». والمهارة ترتبط بهذا الفهم؛ لأنّها تضمن الفعّالية بين المتكلّم والسامع في الإدراك والوقوف على أبعاد الإبلاغ بينهما، ولذا فهي «لا تتم من طرف واحد، وإنّما من قبل المتحدّث أيضا، فكلاهما يجب أن يعملا سويا، وبطريقة صحيحة، فكل منهما يجب أن يتعهّد الطرف الأخر عقليا بتحسين الرسالة والمشاركة في تشكيلها والتعاون في بناء الفكر والمعنى، وإذا اُفْتُقد هذا التعاون من قبل المستمع فلا يكون هناك تفاعل أو اتّصال»[16]. ومنه ندرك تلك العلاقة الوطيدة بين المرسل والمتلقّي، والتي تعزّزها أكثر مهارة الاستماع التي تعتبر القاعدة الأساسية في الاتّصال اللغوي مهما تنوّعت أشكاله.

ومن هذه الملكة تتبيّن قيمة الرسالة اللغوية باعتبار أنّ «القارئ لم يعد مجرّد مستقبل أو متلقّ، وإنّما تتمثّل القيمة في العمل الإبداعي من خلال المشاركة بين المبدع والمتلقّي في لحظة توحّد وجودي»[17].

والاستماع الحسن المبني على الفهم الدقيق الذي استنبطناه عند العسكري كان حاضرا بقوّة عند الباحثين المحدثين الذين أبرزوا أهمية ذلك في العملية التواصلية، فالاستماع كما عرّفه «سبريت Sprit'' هو «العملية النشطة التي تتضمّن ربط المعنى بالصوت»[18]؛ أي بعد سماع تلك الأصوات يجري تحليلها وإدراكها، أو بتفسير تداولي هو الفعل الانتباهي الذي يترتّب عن الفعل الصوتي. أمّا عند «رانكين Rankine'' فهو القدرة على فهم اللغة المستخدمة في الحديث[19]؛ فالاستماع مرهون بالقدرة التي يمتلكها المتلقّي في إدراك رموز الرسالة اللغوية، أي بمفهوم تداولي الوصول إلى الفعل الإحالي على حدّ تعبير «أوستين Austin''. أما ''جونسون Johnson'' فقد ربطه هو الآخر بـ «القدرة على الفهم والاستجابة بفاعلية الاتّصال الشفهي»[20].

وهذه الفعّالية تتّسع أبعادها حينما يصبح المتلقّي بعد فهم الرسالة وإدراكها مرسلا، فهو لا «يكتفي بمجرّد الفهم؛ بل ينتقل إلى محاولة التعرّف العقلية والوجدانية من خلال معايشة تجربة النص الأدبي بما فيه من أحاسيس وأفكار ومواقف واتّجاهات»[21]. وبهذا لا ينحصر دور المتلقّي في السماع فحسب؛ بل يتأسّس أكثر على الاستماع الذي يجعله مرسلا إليه في الوقت نفسه.

وآلية الاستماع تسهم أساسا في تحقيق التفاعل بين طرفي الاتّصال فتجعلهما يتبادلان الأدوار، وهذا ما ركّزت عليه البلاغة الجديدة، وبالخصوص في الخطابة حيث «أصبح المتلقّي متلقيا إيجابيا يتلقّى ما يتلقاه ويفكّر فيه، ثم يردّ ويناقش ويفنّد ويدعّم، لينتقل من موقع التلقي إلى موقع الإرسال، وينتقل المرسل بالتالي من موقع الإرسال إلى موقع التلقّي»[22]. ويكون التواصل بذلك فعّالا، وتتحوّل العلاقة من علاقة رأسية إلى علاقة أفقية؛ «لأنّ المتلقي في الخطابة الجديدة بحكم إيجابيته يقف في درجة موازية لدرجة المرسل من ثمّ يتلقى الخطبة من مقابل موازٍ، فالعلاقة بينهما أفقية»[23]. ونوضّح ذلك أكثر بالمخطط التالي:

16 – محمد منير حجاب، المرجع السابق، ص١٩.
17 – محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، مصر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤، ص١٧٣.
18 – محمد منير حجاب، مهارات الاتصال للإعلاميين والتربويين والدعاة، ص٢٠.
19 – محمد منير حجاب، المرجع السابق، ص٢٠.
20 – محمد منير حجاب، المرجع السابق، ص٢٠.
21 – عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ليبيا الدار العربية للكتاب، ص٧٠.
22 – جميل عبد المجيد، البلاغة والاتّصال، ص١١٧.
23 – جميل عبد المجيد، المرجع السابق، ص١١٧.

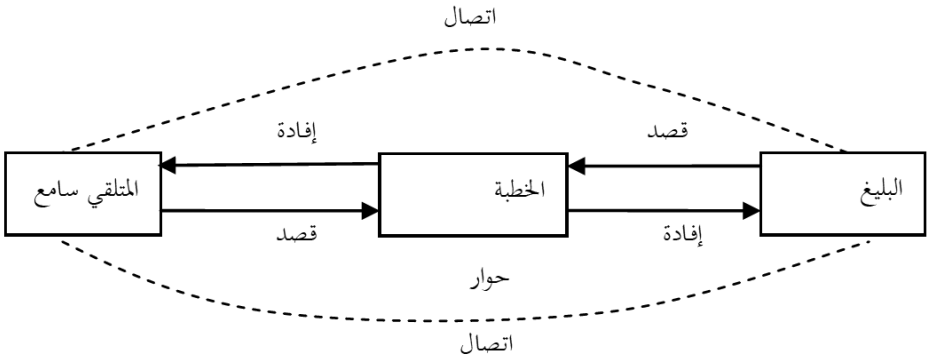

فالمتلقي على إثر سماعه واستماعه تتحقّق تلك الاستجابة التي تجني «الإفادة» بمصطلح تداولي، وهذه العملية قد تتكرّر مع البليغ أيضا، وبالتالي قد «تصبح الخطبة الإبداعية شائعة، وتعني استجابة المتلقي للخطبة ومدى تأثّرها به وتقبّله لها، وهذا كلّه يتوقّف على مدى التناغم والتوافق بين البليغ و المتلقي »[24].

ب-القدرة على فهم محتوى الرسالة:

ويتعلّق هذا الشرط بضرورة امتلاك المتلقّي القدرة التي تمكّنه من الوقوف على المعنى الذي يريده الخطيب ، وتبقى مؤسسة على ما هو متداول في البيئة اللغوية المعيّنة، ف «السمع يتشوّف للصواب الرائع... والفهم يأنس من الكلام بالمعروف، ويسكن إلى المألوف، ويصغي إلى الصواب، ويهرب من المحال، وينقبض من الوخم، ويتأخّر عن الجافي الغليظ، ولا يقبل الكلام المضطرب إلا الفهم المضطرب، والروية الفاسدة»[25].

وهذا ما ربطه أبو هلال بالمعرفة بأمور البيئة الاجتماعية التي ينتمي إليها المتلقي ، لذا لاحظناه يقدّم بعض الأمثلة التي تدلّ على ما سمّاه بـ «البديهة الحسنة»؛ إذ يقول: «فمن البديهة الحسنة ما أخبرنا به أبو أحمد... قال دخل المأمون ديوان الخراج فمرّ بغلام جميل على أذنه قلم فأعجبه ما رأى من حسنه، فقال من أنت يا غلام؟ فقال: يا أمير المؤمنين الناشئ في ديوانك، وخريج أدبك، والمتقلّب في نعمتك، الحسن بن رجا، فقال المأمون: بالإحسان في البديهة تفاضلت العقول، ثم أمر أن يُرفع عن مرتبة الديوان ويعطى مائة ألف دينار»[26]. وهي على صلة كما نرى بالكفاءة التي تجعل المتلقّي يحسن الردّ انطلاقا من الحال الذي يكون فيه.

كما دعت البلاغة العربية بما فيها الخطابة الخطيب إلى مراعاة الحال؛ أي أن (يراعي المتكلم قدر مخاطبيه ومنزلتهم الاجتماعية، فالقول لا يقنع إذا لم يكن موجّها أي مكيّفا بحسب الحاجات الخاصة التي تقتضيها فئات المخاطبين فالوضعيات تختلف و المراتب تتباين و الأفهام تتفاوت)[27].

لكن إذا كان البلاغيون العرب قد قيدوا أنفسهم في دراستهم للخطابة بالخطاب المنطوق أمام حشد

24 - ينظر،عبد العزيز شرف، نماذج الاتصال في الفنون والإعلام، ص١٤٠.
25 - العسكري، الصناعتين، ص٦٣.
26 - المصدر السابق، ص٤٦.
27 _الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، الأردن، عالم الكتب الحديث،ص ٢٤١.

من جمهور العامة؛ وهذا ما كان في مجالس بيت الحكمة مثلا وحتى ما كان سائدا في الأسواق، وطالما أنّ الخطبة في الخطابة العربية القديمة مرتبطة أساسا بالمتلقّي، فإنّه من الضروري أن يراعي الخطيب أحواله والظروف الراهنة التي تؤطِّر الخطبة ككل. فالخطيب قد يكون مضطرا «أكثر من غيره إلى مراعاة حال مستمعيه وظروفهم الراهنة، مما يفرض عليه إخضاع كلامه إخضاعا آنيا لهذه الظروف التي قد تتغيّر من لحظة إلى أخرى، بخلاف الكاتب مثلا الذي يتمتّع بحدود زمانية ومكانية تمكّنه من التصرّف في مطابقة كلامه مطابقة ليّنة)27. فطالما أنّ الخطيب معرّض لبعض الحالات الاضطرارية فإنّه لابدّ أن يتمتّع بالكفاية التي تمكّنه من تجاوز ذلك، من دون قلق أو تردّد؛ وبهذا لا يظل للمتلقي دور التلقي فحسب بل الفهم والتأويل ، وهذا ما دعت إليه البلاغة الجديدة بما فيها الخطابة.

2. **المتلقي في ''الخطابة الجديدة''**:

يعتبر مصطلح الخطابة الجديدة The New Rhetoric من المصطلحات الأساسية التي طرحها كل من بريلمان وتيتكا في كتابهما ''المصنف في الحجاج'' الذي صدر سنة 1958، وقد انطلق الباحثان من فكرة جوهرية مفادها أنّ الخطيب يرمي من خلال خطبته إلى (تحقيق الاستمالة أي استمالة المتلقي لما يعرض عليه من رأي أو دعوى ، و التأثير العملي في سلوكه، و بالجملة الإقناع)[28]. وهذا ما كان مبثوثا في التراث البلاغي الغربي و بخاصة في الخطابة اليونانية ويظهر جليا في قول أرسطو إثر تعريفه للخطابة (فالريطورية قوة تتكلف الإقناع الممكن)[29] .

وبهذا أصبح لمفهوم الإقناع أهمية كبيرة، بل غدا مطلبا أساسيا في هذه النظرية الحجاجية بما فيها الخطابة، و في كل عملية فكرية، وهذا ليس بأمر جديد كل الجدة بل هو حاصر حضورا قويا في الخطابة العربية وقد أشار إليه جل البلاغيين في مواضع كثيرة بمصنفاتهم، ويمكننا استقراء ما ذكروه من خلال بيان مواضعه وتقنياته اللغوية؛ فمواطنه ارتبطت في أساسها بالمقام الذي يكون فيه المرسل، ويتم عندما يخاطب المتبوع التابع وهذا ما بينه أبو هلال العسكري بقوله: «فأما ما يكتبه العمال إلى الأمراء ومن فوقهم، فإنّ سبيل ما كان واقعا منها في إنه فاء الأخبار، وتقرير صوّر ما يلونه من الأعمال، ويجري على أيديهم من صنوف الأموال، أن يمدّ القول فيه حتّى غاية الشف بماء والإقناع، وتمام الشرح والاستقصاء؛ إذ ليس للإيجاز والاقتصار عليه موضع»[30]. فإذا خاطب المتكلّم ذوي الإمارة فلا بدّ من إقناعهم بما يبتغيه، وسبيله في ذلك الشرح الوافي للفكرة المطروحة، والاستقصاء الكامل لأبعاد الرؤية المعيّنة من غير إيجاز أو تقصير.

أما تقنيات الإقناع عند البلاغيين فتتنوّع؛ منها اعتماد الحجّة، وقد خصّصوا لذلك فصولا كاملة أوسمّوها «بالاستشهاد والاحتجاج»، و«هو أن تأتي بمعنى ثمّ تؤكّده بمعنى آخر يجري مجرى الاستشهاد على الأول، والحجّة على صحّته»[31]. فالحجّة ههنا طريقة من طرق البيان، والتي تتطلّب في أساسها بناءً لغويا معيّنا يلجأ إليه المرسل حينما يريد توضيح معنى ما، وتأكيده لدى السامع، وكل ذلك يتطلّب بلاغة حجاجية.

وفي هذا الإطار أشار «بيريلمان Perelman'' إلى أنّ هناك «حجاجا يمكن نعته بالبلاغي؛ أي هناك صنف من الحجج يخضع لبنائه وترتيبه لقواعد البلاغة والبيان. ويتّسم هذا النوع من الحجاج بالسمات التالية:

28 – البلاغة والاتصال جميل عبد المجيد ص ١٠٧

29 _الخطابة أرسطو تح عبد الرحمن بدوي وزارة الثقافة و الإرشاد القومي ١٩٥٩، ص٩.

30 – العسكري، الصناعتين، ص١٦٣.

31 – العسكري، المصدر السابق، ص٤٣٤.

-اندماجه عضويا بالخطابة في شكلها المكتوب والمنطوق.

-اشتراطه لرغبتين هما؛ إرادة المتكلّم (المؤثِّر والمقنع)، وإرادة المتلقّي (المتأثر والمقتنع).

-اشتماله على البعد الاستدلالي والبعد الإمتاعي، أو الجمع بين البيان والبديع.

-عدم قابليته للقولية والصياغة المنطقية الشكلية والرمزية»[32].

وتحقيق الحجاج في الرسالة اللغوية مرتهن بحسن البيان، والذي يرتبط بالأسس التالية:

-الإجادة في تأليف العبارة والدقّة في نظم علاقات ألفاظها.

-التأثير في المتلقّي؛ أي ما طربت له الأذن وانساقت له الأسماع.

-السهولة واليسر في المنطَق؛ أي ما نطقت به الألسنة نطقا سهلا واضحا لا عيَّ فيه.

-استمالة عقول الآخرين؛ أي ما كان له وقع في الأنفس، فاشتاقت له وهامت به.

-موافقته للحاجة المعبَّر عنها؛ أي ما جاء وافقا للغاية التي لأجلها وُصف بهذه الصفة.

فقد حاول بريلمان في نظريته تأسيس بناء فكري ينطلق في جوهره من التراث القديم تدمج فيه أبعاد المتكلم و المتلقي والمقام معا؛ مضيفا إليها فكرة الحجاج التي يعد جزءا لا يتجزأ منها، بيد أنه ركز اهتمامه على المتلقي ودرجة انفعاله مسقطا كل ما كان يميزه في الخطابة القديمة اليونانية وحاربها؛ فمثلا كسّر ما انطلق منه أفلاطون في خطابته و التي (كانت مبنية في جوهرها على دغدغة مشاعر العامة و الدهماء و إثارة انفعالاتهم، بغية الوصول إلى استجابتهم أو استمالتهم دون أن يقوموا بعمليات فحص ومحص)[33] وقامت خطابته على مخاطبة العامة و الدهماء و اتسعت لمخاطبة أيّ نوع من الجمهور أو المتلقي.

خاتمة:

و بهذا نخلص إلى أنّ بريلمان عاد إلى الحطابة القديمة و استبقى فيها فكرة المتلقي و دوره الايجابي و هو المحور لكل من الخطابة القديمة سواء كانت الغربية أو العربية ورأينا كيف أنّ البلاغيين العرب اهتموا على المتلقي سواء من خلال تركيزهم على الخطيب أو على المقام أو عليه مباشرة على السامع وما يجب أن يتصف به من صفات كان في أساسها» سرعة البديهة «و»الفطنة» وبالتالي يكون له دورا فعالا في العملية التبليغية وهذا بالضبط ما دعت إليه البلاغة الجديدة بشكل من الأشكال إذ أضحى المتلقي فيها متلقيا إيجابيا يتلقى (ما يتلقاه و يفكر فيه، ثم يرد ويناقش ويفند ويدعم؛ لينتقل بذلك من موقع التلقي إلى موقع الإرسال ، أما الخطيب فيسبح متلقيا فالطرفان يتبادلان الأدوار) فالعلاقة بينهما تغيرت من رأسية إلى أفقية ويمكن أن نبين ذلك أكثر في المخطط التالي:

32 - حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، عناصر استقصاء نظري، ص١١٠.

33 جميل عبد المجيد، البلاغة و الاتصال ، ص١١٧.

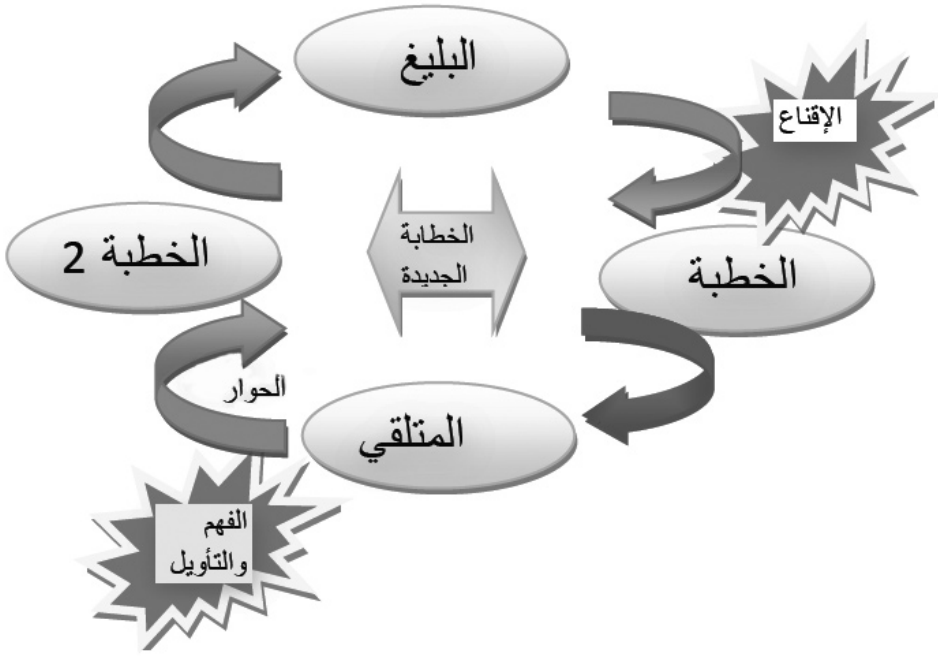

المراجع والمصادر:Arapça Kaynaklar

1 .أرسطو، الخطابة، تح عبد الرحمن بدوي وزارة الثقافة و الإرشاد القومي 1959،

2 .ابن المقفع، الأدب الصغير والأدب الكبير ورسالة الصحافة، يوسف أبو حلفة، بيروت منشورات مكتبة البيان، ط3/1964.

3 .ابن منظور، لسان العرب،

4 .أبو هلال العسكري، الصناعتين في الكتابة والشعر، تحقيق علي البجاوي ومحمد أبو الفضل، دمشق دار الفكر العربي، ط2 ، دت.

5 .الجاحظ البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون، المكتبة المصرية ج1 .

6 .الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، الأردن، عالم الكتب الحديث.

7 .جميل عبد المجيد، البلاغة والاتّصال مصر دار غريب، 2000.

8 .حسن أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، عناصر استقصاء نظري، مجلة عالم الفكر، المجلد 30، سبتمبر 2001 .

9 .عبد الحليم بن عيسى، البيان الحجاجي في إعجاز القرآن الكريم –سورة الأنبياء نموذجا–‘‘، مجلة التراث العربي، مجلة الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، سوريا، السنة الثالثة والعشرون، العدد(102)، 2006م،

10 .عبد العزيز شرف، نماذج الاتصال في الفنون والإعلام، والتعليم والإدارة والأعمال، مصر الدار المصرية اللبنانية (دت).

11 .عيسى شاهين، حاسة السمع، عمان المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1986،

12 .محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، مصر الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984.

13 .محمد منير حجاب، مهارات الاتصال للإعلاميين والتربويين والدعاة،بيروت دار الفجر للنشر و التوزيع.

Arapça Kaynaklar (Latin Alfabesiyle)

1- Aristo, el-Hitâbe, tahkik Abdurrahman Bedevî, Vizâretu’s-sekâfe ve’l-irşâdi’l-kavmî, 1959.

2- İbnu’l-Mukaffa‘, el-Edebu’s-sagîr ve’l-edebu’l-kebîr, ve risâletu’s-sihafe, Yûsuf Ebû Halefe, Beyrut, Menşûrât Mektebeti’l-beyân, üçüncü baskı, 1964.

3- İbn Manzûr, Lisânu’l-’Arab.

4- Ebû Hilâl el-Askerî, es-Sınâ‘ateyni fi’l-kitâbe ve’ş-şi‘ir, tahkik Ali el-Bicâvî Muhammed Ebu’l-Fadl, Dımaşk, Dâru’l-fikri’l-‘Arabî, ikinci baskı, tarihsiz.

5-el-Câhız, el-Beyân ve’t-tebyîn, tahkîk Abdusselâm Hârûn, el-Mektebetu’l-Mısriyye, cilt I.

6- Sâmiye ed-Dirîdî, el-Hicâc Mefhûmehu ve Mecellâtuhû, Dirâsât nazariyye ve tatbîkiyye fi’l-belâgati’l-cedîde, Ürdün, ‘Âlemu’l-kutubi’l-hadîs.

7- Cemîl Abdulmecîd, el-Belâğa ve’l-ittisâl, Mısır, Dâr Garîb, 2000.

8- Hasan A‘râb, el-Hicâc ve’l-istidlâli’l-hicâcî, ‘Anâsır İstiksâ Nazarî, Mecelle ‘Âlemu’l-fikr, c. 30, Eylül 2001.

9- ‘Abdulhalîm b. ‘İsâ, el-Beyânu’l-hicâcî fî i‘câzi’l-Kur’âni’l-Kerîm sûretu’l-Enbiyâ nemûzecen, Mecelletu’t-turâsi’l-‘arabî, Mecelletu’l-ittihâdi’l-‘âmme li’l-udebâ ve’l-kuttâbi’l-‘arab, Suriye, sene 23, sayı 102 , 2006.

10- ‘Abdulazîz Şeref, Nemâzicu’l-ittisâl fi’l-funûn ve’l- i‘lâm, ve’t-ta‘lîm ve’l-idâre ve’l-a‘mâl, Mısır, ed-Dâru’l-Mısriyyeti’l-Lubnâniyye, tarihsiz.

11- ‘İsâ Şâhin, Hâsseti’s-sem‘, Amman, el-Muessesetu’l-‘Arabiyye li’d-dirâsât ve’n-neşr, 1986.

12- Muhammed ‘Abdulmuttalib, el-Belâğa ve’l-Uslûbiyye, Mısır el-Heyetu’l-Mısriyye el-‘Âmme li’l-kuttâb, 1984.

13- Muhammed Munîr Hicâb, Mahârâtu’l-ittisâl li’l-i‘lâmiyyîn ve’t-terbeviyyîn ve’d-du‘ât, Beyrut, Dâru’l-fecr li’n-neşr ve’t-tevzî‘.